

ويعيد هنا قوله في هرم وعبارته نفسها ، فيشهد أن ممدوحه نقي من العيب صاف من الدنس والعيوب ، ويداه تسحان كالغمامة وتمطران بالعطاء ، وهو كريم بماله يسخو باشاً مهلاً إذا ما أقبل إليه طالب عتف :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلًا إِذَا مَا أَقْبَلَ إِلَيْهِ طَالِبٌ عَتْفٌ :

وهذه صورة ألح عليها المتأخرون ، وكرروها وأعادوها في شعرهم بعده ، يصفون المتفضل وهو يجود بماله قرير النفس باش الوجه كأنه يتقبل الهدية ، يأخذ ولا يعطي - كما رأينا في الفصل السابق .

وأما الأعشى فقد مدح كثيراً ، وشكر كل من أهدى إليه أو أغدق عليه حتى جنح إلى المسألة والتكسب ، فقليل فيه إنه أول من سأل بشعره ، وهو يصف كذلك الشجاعة والكرم ، وأصالة النسب وحماية الجار وإغاثة المكروب ، ولا يخرج في صفات ممدوحه عن المثل العليا عند العرب والصفات الفاضلة المفضلة ، ويغالى في مديحه حتى يخرج عن حدود التصديق ، فيقول في هودة الحنفي :

فَتَى لَوْ يُنَادَى الشَّمْسُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرُ السَّارَى لِأَلْقَى الْمَقَالِدَا

وهذه صورة بارعة في علو المقام وشدة الهيبة ، ينادى الشمس فتطيعه ، ويخاطب القمر فيليته ، ويضيف الأعشى إلى ذلك أن ممدوحه أحلم من قيس وأجراً من الأسد ، يستخف بالجموع ويستهن بالشجعان ويعدو وحده على الجموع ولو بلغ الرجال ثمانين . ويمتدح سلامة بن فائش أحد أمراء اليمن فيشيد بشجاعته وبأسه ، لأنه يسبي النساء فلا يدفع فيهن مهراً ، ويسوق النوق في الغارات إلى بيته لتقيم في فنائمه وتضاف إلى ملكه ، وهو قوى معطاء يهلك ماله حين يشتد القحط في الشتاء وتهزل المرضعات ، فيعجير الشعب ويطعم الجائع ويكسو العارى ، فكأنه وحده مصدر جمعيات للإسعاف في عصرنا الحاضر ، يقوم بمفرده مقام الدول والهيئات ، وكذلك كان التعاون والتعاقد في نظر